مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2570 0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد:07 العدد 01 جانفي (2023) ص 81-94

الإشاريات الشخصية في النصوص الأدبية: النصوص الدينية للسنة الثالثة ثانوي – أنموذجًا -

Personal Deixis in literary texts: Religious texts for the third year secondary school as a case study

مبروك حمزة*
جامعة محمد خيضر- سكرة (الجزائر)
hamza.mebrouk@univ-biskra.dz

لهويمل باديس
جامعة محمد خيضر- بسكرة (الجزائر)
b.lehouimel@univ-biskra.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2022/04/09
تاريخ القبول:
2022/11/27

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الإشاريات الشخصية
- ✓ النصوص الأدبية
- ✓ النصوص الدينية للسنة الثالثة ثانوي

الملخص:

يقوم البحث التداولي على آليات متعددة لدراسة الخطاب اللغوي، ومن بين هذه الآليات توجد الإشاريات، إذ لا يمكن أن تتم عملية التخاطب والتواصل بين المتكلم والمخاطب دون وجود هذه الإشاريات؛ الشخصية والزمانية والمكانية. تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على تداولية الإشاريات الشخصية ومساءلة بنياتها وأنماطها وحمولاتها الدلالية والمقاصد التي ترمي إليها من خلال السياقات التي اتصلت بها وذلك من خلال النصوص الأدبية وبالضبط النصوص الدينية للسنة الثالثة ثانوي، حيث يسعى البحث إلى التركيز على الأدوار التي قامت بها هذه الإشاريات الشخصية في التبليغ والتواصل من خلال هذه النصوص باعتبارها أنموذجًا للإشاريات الشخصية.

Article info

Received 09/04/2022
Accepted 17/11/2022

Abstract :

The pragmatic research is based on multiple mechanisms for studying linguistic discourse, and among these mechanisms there are deixis. The communication process between the speaker and the addressee cannot be

* المؤلف المرسل

done without the presence of these deixis; Personal, Temporal, and Spatial one.

This study aims to determine the pragmatics of personal deixis, and questioning its structure, patterns, semantic value, and intentions through the contexts to which it is linked. This is done through literary texts, specifically religious one for third year high school. The research focus on the roles played by these personal deixis in achieving the process of reporting and communication through these texts as a model for personal deixis

Keywords:
- ✓ *Person Deixes*
- ✓ *The Literary Texts*
- ✓ *Third Year High School Religious*

1. مقدمة:

تدرس التداولية النص على أنّه كيان يتضمّن شبكة من العناصر اللغوية وغير اللغوية المحيطة بإنتاج النص. فقد تجاوزت التداولية تلك الأبحاث البنيوية الشكلية التي كانت تدرس المعنى والإبداعية في نطاق ما يُظهره سطح النص وتراكيبه اللغوية، وبالتالي فلا معنى ولا جمالية ولا شعرية بحسب هذه الدراسات . خارج أسوار النص، حيث تمّ عزل وتحييد كل من المتكلّم والمتلقّي ومختلف الظروف المحيطة بإنتاج النص.

ثمّ جاء الاتجاه التداولي السياقي الذي حاول أنْ يستدرك النقائص التي وقعت فيها هذه المناهج البنيوية الشكلية التي وقفت بالنص عند حدود الدراسات الدلالية و حصرت بحثها عن المعنى فيما بين تراكيب النص.

لقد جاء البحث التداولي ليتجاوز قصور الدراسات الدلالية المحدودة والمنغلقة والتي أظهرت عجزها في معالجة الظاهرة الأدبية، فقد نصّت التداولية من خلال آلياتها على ضرورة الاهتمام بنوايا المتكلّم ومقاصده، وأحوال المتلقي، والاعتداد بالظروف المحيطة بإنتاج النص.

إنّ النص الأدبي في نظر التداولية هو خطاب تبليغي تواصلي قيل من مرسل معيّن(كاتب)لمتلق(قارئ) معيّن وفق ظروف زمنية ومكانية معيّنة. ولذلك فالبحث التداولي للنص يقول على استهداف المقاصد والمضامين التي يريد المتكلّم إيصالها للمتلقّي بحسب سياق الاستعمال والتواصل.

إنّ دراسة النص من منظور تداولي هي دراسة عميقة لمضمونه ومقاصده التي لا نفهمها إلّا بالرجوع إلى السياق، فلا قيمة للألفاظ أو العبارات بعيدة عن سياقها، فلا بد من دراسة الألفاظ والعبارات التي يوجهها المتكلم داخل السياق، ومن خلال الظروف المحيطة به، ومن خلال زمان ومكان التخاطب، لكي تتّضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب والتي يرمي إليها المتكلم. وكل هذه الأمور تهتم بها الدراسة التداولية(الوحدة، دون سنة، صفحة 38)

من هذا المنطلق يمكننا صياغة إشكالية موضوع البحث بالتساؤل التالي: **ما مدى حضور الإشاريات التداولية الشخصية في النصوص الأدبية ذات الطابع الديني؟ وما مدى مساهمتها في تبليغ المقاصد التي تتضمنّها؟**

هدف البحث:

أثناء البحث العلمي يتم الاستعانة بمجموعة من المراجع والمصادرلزيادة قوة الفكرة المطروحة بالورقة البحثية والبرهنة عليها، ومن خلال المراجع المعتمدة في البحث فإن الهدف هو السعي إلى:

- تحديد أنواع الإشاريات الشخصية في النصوص الأدبية الدينية.

- إبراز دور الإشاريات التداولية في الكشف عن المقاصد والدلالات الي تتضمنها هذه النصوص.
- إلقاء الضوء على النصوص الأدبية من المنظور التداولي.

المنهج المتبع:

بغرض الإجابة على التساؤل المطروح وبالنظر لطبيعة البحث اعتمدنا المنهج التداولي من خلال تحليل المعنى في سياق الاستعمال بالإضافة إلى اعتماد الاجراءات التداولية الأخرى المرتبطة بالعلاقات المتبادلة بين المتكلم والقارئ وتوضيح مقاصد المتكلم والكيفية التي يتلقاها السامع والظروف المحيطة بإنتاج الخطاب.

2.مفهوم الإشاريات التداولية وأنماطها

تُعدُّ الإشاريات من أهم العوامل المساهمة في بناء الخطاب، اتّساقًا وانسجامًا، إذْ لا يخلو الكلام منها، لدورها النحوي ووظائفها الدلالية والتداولية (أجعيط، 2016، صفحة 203).فهي مكوّنات لغوية متعدّدة الأدوار؛ تربط بين أجزاء النص وتساهم في تحديد المعاني التي ينطوي عليها ،كما أنّها تتّصل بسياق الخطاب لتوضّح المقاصد التي قصدها المرسِل في خطابه، وتحديد هوية الأطراف الفاعلة في العلاقة التخاطبية.

والإشاريات هي من مفاهيم التحليل التداولي للخطاب، نكشف من خلالها الإمكانيات التي يحويها الخطاب أثناء العملية التواصلية، فالإشاريات هي أسماءٌ مبهمةٌ في حد ذاتها، ولا يُتلفّظ بها إلّا في سياق تخاطبيّ ولا يتحدّد مرجعها إلّا في سياق الخطاب التداولي. وتتجلّى أهمية الإشاريات التداولية خطابيًّا في كون أنّ اللغة لا تُلبّي الأغراض التواصليّة لمستعمليها بفاعليّة إلّا بوجود الإشاريات، إذْ لا يمكن فهمها وتحديد دلالاتها إلّا بمعرفة من هو المتكلّم، ومن هو المستمع، وما هو زمن إنتاج الخطاب ومكانه(نبها، 2020، صفحة 31).

لقد تعدّدت المصطلحات المعبّرة عن الإشاريات عند العلماء، فقد سمّاها روبرت دي بوجراند"الألفاظ الكنائية"(دي بوجراند، 1998، صفحة 320).

كما نجد جورج يول يسمّي الإشاريات" التعابير التأشيرية"، والتأشير في نظره مصطلحٌ تقنيٌّ يُستعملُ لوصف إحدى أهم الأشياء التي نقوم بها في أثناء الكلام والتأشير- عنده - يعني الإشارة من خلال اللغة، ويقسّم التعابير التأشيرية إلى: التأشير الشخصي والتأشير المكاني والتأشير الزماني (يول، 2010، صفحة 28).

وقد أطلق عليها الأزهر الزناد "العناصر الإحالية في اللغة" وعدّها من قبيل المعوّضات، وأشار إلى أنّها تأتي تعويضًا في الكلام عن وحدات معجميّة(أسماء مفردة وما يضارعها من المركّبات)، وتشمل كلّ ما يشير إلى ذاتٍ أو موقعٍ أو زمنٍ(الزناد، 1993، الصفحات 115-116).

تقوم الإشاريات على دراسة عناصر إنتاج الخطاب اللغوي التي تحصرها في : (1-الأنا، 2 - الهنا، 3 - الآن)؛ وهذه العناصر الثلاثة هي الإشاريات(رمضان النجار، 2013، صفحة 88):

- الأنا: هي جميع الضمائر(المتكلّم والمخاطَب)
- الهنا: هي جميع أسماء الإشارة المعروفة وظروف المكان.
- الآن: هي ظروف الزمان التي يمكن أنْ تكون بارزةً أو مضمرة، كما في الملفوظ مثلًا: (أمر):أكتب الدرس. فهذا الملفوظ في بنيته الضمنية العميقة هو: أنا أقول أكتب أنت الدرس الآن هنا. .

ولذلك فقد ذهب الكثير من العلماء إلى تقسيم الإشاريات إلى ثلاثة أنواع هي : الإشاريات الشخصية، الإشاريات الزمانية، الإشاريات المكانية.

1.2 الإشاريات الشخصية:

يقصد بها الضمائر الشخصية الدّالة على المتكلّم وحده مثل: (أنا)، أو المتكلّم ومعه غيره مثل: (نحن)، والضمائر الدّالة على المخاطَب مفردًا أو مثنّى أو جمعًا، مذكّرًا أو مؤنّثًا. ويدخل في الإشارة إلى الشخص النّداء، وهو ضميمة اسمية تشير إلى مخاطَب لتنبيهه أو توجيهه أو استدعائه(نحلة، 2002، صفحة 19.17).

ويمكن توضيح أهمية الضمير الإشاري في قول القائل: (في مكتبتي بالمنزل وضعتُ سيبويه في مكان واضح، إنّه مفيد للباحثين).إنّ الضمير في (إنّه) لا يعود إلى سيبويه، وإنّما يعود إلى ما يُفهم من كلمة سيبويه، وهو كتابه المعروف في النحو،إذْ لا يُعقل أن يكون سيبويه هو الموضوع في المكتبة (عفيفي، د س، صفحة 38).

تمثّل الإشاريات الشخصية نقطة الارتكاز السياقي في إنجاز الخطاب، ولا يتحقّق الخطاب من دون الأطراف المشتركة في تواصلية السياق، وفهم أبعاده، ومن أهم هذه الأطراف (المرسِل) المعبّر عن الأنا، سواءٌ أكان موجودًا أم مقدّرًا، فهو منطَلق إنشاء الخطاب، والمرسَل إليه المعبّر عن الأنت(نبها، 2020، صفحة 32).

تؤدّي الضمائر ـ باعتبارها ظاهرةً لغويةً ـ دورًا هامًّا في ضمان الإطار التداولي للحديث، ويتشكّل الحديث أو الخطاب بين "أنا" و "أنت"، وتحقّق الفاعلية في اللغة يعني الحديث عن دور الضمائر في تحويل اللغة إلى ممارسة ونشاط فردي من خلال الاستعمال، بحيث أنّ المتكلّم حين يملك اللغة ويتحكّم فيها فهو يجعلها من إمكاناته، وينصّب نفسه في مرتبة عالية ضمن العملية التخاطبية، ولا يتحدّث إلّا لشخص ينصّبه أمامه أي المخاطَب(حمو الحاج، 2012، الصفحات 106-108).

2.2 الإشاريات الزمانية:

هي كلمات تدلّ على زمان يحدّده السياق بالقياس إلى زمان التكلم، فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام، فإذا لم يُعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ...فإذا قلت: نلتقي الساعةَ العاشرة، فزمان التكلّم وسياقه هما اللذان يحدّدان المقصود بالساعة العاشرة صباحًا أو مساءً من هذا اليوم أو من يوم يليه، وإذا تأمّلنا زمن الفعل "نلتقي" وجدناه ينفي أنْ يكون اللقاء قد حدث فعلًا بل يصرف زمن اللقاء إلى زمن لم يمض بعد، ومثل ذلك كلمات مثل: أمس، وغدًا، والآن، والأسبوع الماضي، ويوم الجمعة، والسنة المقبلة، ومنذ شهر...الخ(نحلة، 2002، الصفحات 19-20).

شغل الزمن حيّزًا مهمًّا في دراسة الإشاريات، سواءٌ تعلّق الأمر بزمن الفعل أم بظروف الزمان. وقد اتّضح أنّ دلالة الزمن لا تتحدّد بزمن الفعل أو الظرف في حدّ ذاته، وإنّما بزمن التلفّظ، معنى ذلك انّنا عندما نعمد لظرف زمن مثل أمس، فإنّ دلالته تتحدّد بالزمن الذي أُنتج فيه الملفوظ، أي إنّه يدلّ على اليوم الذي سبق يوم إنتاج الملفوظ، وبالمثل فإنّ غدًا تدلّ على اليوم الذي يلي زمن الحديث. ومن هذا نستنتج أنّ الزمن يمثّل عنصرًا ملازمًا لكلّ لغة وحدث لغوي، وتتّصل دلالته بالاستعمال.(ختام، 2016، الصفحات 80-81).

3.2 الإشاريات المكانية:

كما أنّ الخطاب يقع في زمان معيّن، فإنّه يقع في مكان معيّن أيضًا. والإشاريات المكانيّة "هي عناصر إشارية إلى أماكن يُعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تُشير إليه قُربًا أو بُعدًا أو وجهة" (نحلة، 2002، صفحة 21).

وتختصّ الإشاريات المكانية بتحديد المواقع بالانتساب إلى نقاط مرجعية في الحدث الكلامي، وتُقاس أهمية التحديد المكاني بشكل عام انطلاقًا من الحقيقة القائلة: إنّ هناك طريقتيْن رئيستين للإشارة إلى الأشياء هما: إمّا بالتسمية أو الوصف من جهة أولى، وإمّا بتحديد أماكنها من جهة أخرى.(الشهري، 2004، صفحة 84).

وأكثر الإشاريات المكانية وضوحًا هي كلمات الإشارة نحو هذا وذلك للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية وهو المتكلّم، وكذلك هنا وهناك وهما من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلّم وسائر ظروف المكان مثل فوق، وتحت وأمام، وخلف...كلّها عناصر يُشار بها إلى مكان لا يتحدّد إلّا بمعرفة موقع المتكلّم واتجاهه.(نحلة، 2002، صفحة 22).

3. الإشاريات الشخصية في النصوص الأدبية "النصوص الدينية للسنة الثالثة ثانوي"

إنّ النص الأدبي هو "بؤرة العملية التعليمية كلّها كونه يمثل البنية الكبرى التي تظهر فيها كل المستويات اللغوية، الصرفية، النحوية، الدلالية، الأسلوبية، لما تنعكس عليه المؤشرات السياقية (المقامية والثقافية والاجتماعية) فاللغة والمعجم والنحو والنظام الدلالي مطية لفهم النص، وإدراك تماسكه وتسلسل أفكاره، والتعبير والاتّصال بواسطته، ومن ثمّة تُدرك أنماط النصوص المقروءة والمكتوبة"(علوش، 2018).

إنّ النصوص الأدبية التي سنقوم ببحث الإشاريات فيها، هي نصوص دينية؛ لكونها ترتبط بالدين من حيث الموضوع الذي تتناوله، وهي نصوص مقرّرة في منهاج السنة الثالثة ثانوي شعبة آداب وفلسفة. وبالتالي حاولنا في هذه الدراسة أنْ نستجلي موقع الإشاريات كمبحث تداولي في مثل هذ الصنف من النصوص وأن نقف على فاعلية هذه العناصر اللغوية ودورها في إيصال المضامين والمقاصد التي تتضمنها هذه النصوص.

سنحاول معالجة المشيرات الشخصية في قصيدتي "في مدح الرسول للبوصيري" و"في الزهد لبن نباتة"، وذلك من خلال دراسة تجليات هذه الوحدات اللسانية في القصيدتين، وبحث أنماطها التي تشتمل عليها والوقوف على مدلولاتها السياقية.

1.3 الإشاريات الشخصية في قصيدة "في مدح الرسول للبوصيري":

إنّ قصيدة (في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم) للبوصيري تُعدّ أول قصيدة مبرمجة في منهاج السنة الثالثة ثانوي شعبة آداب وفلسفة، وهي تمثل النص الأدبي الأول في المقرّر، وهي في الأصل قصيدة طويلة إلّا أنّها ولغايات تربوية وبيداغوجية تمّ التصرف فيها، وهي بحسب الكتاب المدرسي تشتمل على ستة عشرة بيتًا.

وبالرّجوع إلى سياق الخطاب التداولي للقصيدة، فإنّ الشاعر في هذه القصيدة يمدح الرّسول "صلى الله عليه وسلم" ويتعرّض لصفاته الخُلقية والخِلقية الشريفة، حيث،إنّ عنوان القصيدة يشير بوضوح إلى المديح النبوي(في مدح الرسول صلّى الله عليه وسلّم)، كما نلاحظ أنّ التمهيد يشتمل على آية كريمة يُخاطب فيها الله عزّ وجل رسولَه، ويُثني فيها على أخلاقه الرّفيعة، كلّهذه الظروف المقاميّة المحيطة بالقصيدة تجعلنا نفسّر المخاطَب الذي عبّر عنه الشاعر بضمائر خطابية مختلفة؛ متّصلة ومنفصلة،

يقول البوصيري (سعيدي و آخرون، 2008، صفحة 9):

كيف ترقى رُقيّك الأنبياء ** يا سماءً ماطاولتها سماءُ

لم يساووك في عُلاك وقد حا ** ل سنًا منك دونهم وسناءُ

أنت مصباح كلّ فضلٍ فما تصـ ** در إلّا عن ضوئك الأضواء

حبذا عقد سُؤددٍ وفخارٍ ** أنت فيه اليتيمة العصماء

إنّ كلّ ضمائر المخاطب الواردة في هذه الأبيات تعود على مرجع واحد وهو النبيّ "صلّى الله عليه وسلّم"، وقد ركّز الشاعر على المخاطبَ(أي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم)لأنّه يمثّل ـ تداوليًّا ـ الضميرَ الأكثر حضورًا في القصيدة، وهو يمثّل بؤرة اهتمام الشاعر في هذه القصيدة.

لقد تركز حضور المخاطَب على شخص النبي ـ"صلّى الله عليه وسلّم" في الأبيات المذكورة لكونه يمثّل ممدوح الشاعر العظيم بصفاته الكريمة.أمّا في البيت الخامس عشر فنجد الشاعر قد وظّف ضمير المخاطب المستتر ولكن هنا المرجع يختلف، فهو يعود على المتلقّي، يقول البوصيري (سعيدي و آخرون، 2008، صفحة 9):

لا تقس بالنبيّ في الفضل خلقًا ** فهو البحرُ والأنام إضاءُ

ففي قوله: تقس بالنبيّ، يعود هنا الضمير المستتر المقدّر"أنت" في الفعل المجزوم (لا تقس) على المتلقّي.

وبما أنّ ضمير المخاطب يُعدّ في نظر الدرس التداوليّ من ضمائر الحضور، فقد سعى الشاعر من خلاله أي ضمير المخاطب إلى إبراز مدى حضور شخص الرّسول "صلّى الله عليه وسلّم" أمامه، فهو حاضر غير غائب، حاضرٌ بصفاته النبيلة وخصاله الشريفة، فالشاعر يريد أنْ يقول لنا -من خلاله استخدامه ضمير الخطاب المُوجّه إلى النبيّ "صلّى عليه وسلّم"-أنّ الرسول مازال حيًّا حاضرًا بسيرته العطرة التي لا تنسى، بأخلاقه الكريمة التي عجز الكلّ عن الوصول إليها، فهو النور الذي لمْ ولن ينطفئ، وهو السماء التي لمْ تُطاولها سماء أخرى.

كما تجلّت أهمية ضمير المخاطب كعنصر إشاري تداولي في هذه القصيدة من خلال مساهمته في إرساء المقارنة بين الرّسول وباقي الرّسل، فهمم لا يساووه في عُلاه، ولم يصلوا إلى شرف منزلته التي كرّمه الله بها. وهذه المقارنة التي قام بها البوصيري خدمت قصد الشاعر المتمثّل في مدح الرّسول "صلّى الله عليه وسلّم" وتعظيم شخصه ليقنعنا بأنّ شخصية الرّسول"صلّى عليه وسلّم" عظيمة بأخلاقها وصفاتها وأفعالها، إنّه الرّسول محمّد الذي كانت ولادته نورٌ للكائنات.

إنّ تركيز الشاعر وتشبّثه بهذا الضمير الإشاريّ(أي ضمير المخاطب)، قد صوّر بوضوح مدى حضور الرّسول الممدوح في نفس الشاعر، صوّر مدى تأثّر الشاعر وحبّه للنبيّ "صلّى الله عليه وسلّم"، فهو حاضرٌ في نفسه لا يغيب، وهذا ما يفسّر عُدول الشاعر عن ضمير الغائب في هذا النص واعتماده ضمير المخاطب رغم أنّ الرّسول قد مات.

كما نلاحظ أنّ الشاعر اعتمد ضمير المخاطب المنفصل"أنت" في حالتيْن في قوله (سعيدي و آخرون، 2008، صفحة 9):

أنت مصباح كلّ فضلٍ فما تصـ ** در إلّا عن ضوئك الأضواء

حبـذا عـقد سُـؤددٍ وفـخارٍ ** **أنت** فيه اليتيمة العصماء

حيث وظّف الشاعر ضمير"أنت" عندما كان في مقام وصف الرّسول الممدوح بصفات العظمة والتفرّد والتميّز، فمحمّد "صلّى الله عليه وسلّم" قد اختزل في نفسه كلّ معاني المجد والشرف والرّفعة، وكأنّ الشاعر أراد أنْ يقول: أنت يا رسول الله، كلّ هذه المعاني السامية والصفات الشريفة مجتمعةٌ فيك.

وفي البيت الخامس عشر نجد السياق التخاطبي قد انحرف من حيثُ المرجع لقصد أراده الشاعر، وذلك في قوله (سعيدي و آخرون، 2008، صفحة 9):

لا تقس بالنبيّ في الفضل خلقًا ** فهو البحرُ والأنامُ إضاءُ

ففي هذا البيت يعود ضمير المخاطب"أنت" المستتر في الفعل(لا تقس) على المتلقّي، وهذا لكون الشاعر كان في مقام الدفاع عن الرسول "صلّى الله عليه وسلّم"، فقد أراد أنْ يوصل الشاعر للآخرين رسالةً مفادها أنّ مكانة الرسول راقية ولن

يسمو إليها أحدٌ من البشر، وبالتالي فكلّ مُشكّك في عظمة وشأن الرّسول ومكانته العالية، عليه أنْ يعيَ استحالة مقارنة الرسول بغيره في علوّ الشرف والمكانة.

يُعدُّ ضمير المخاطَب الإشاري والعائد على الرّسول "صلّى الله عليه وسلّم" والذي تكرّر بقوّة في القصيدة وبمختلف الأشكال من النّاحية التعليمية مفتاحًا أساسيًّا لفهم هذه القصيدة؛ لكونه يساهم بدوره في تعيين المقصود الذي سعى الشاعر إلى إبانته وهو مدح الرّسول، فقد عمد الشاعر إلى التّعبير عن مدى تعظيمه وتعلّقه بالرّسول من خلال توظيفه لهذا الضمير أي: ضمير المخاطَب، كما أنّ وصول هذا المعنى المقصود إلى المتعلّمين يساهم في فهمهم لهذه القصيدة وبالتّالي يحصل التّفاعل والتواصل بين المتعلمين والنص الأدبي.

كما أنّ هذا الضمير الإشاري (ضمير المخاطَب)في هذه القصيدة عبّر عن مدلولات أخرى مثل حضور شخص الرّسول في نفس الشاعر دائمًا، وتفوّق الرّسول الممدوح عن غيره مكانةً وشرفًا، والدّفاع عن الرّسول..كلّ هذه المدلولات الضمنية الخفية التي نستنبطها بالتّحليل التّداولي من خلال الوقوف على هذا المكوّن الإشاري تساعد الأستاذ في تعليمية هذا النّص على تبسيط وتقريب المضمون للمتعلّمين. ولذلك الوقوف على هذا الضمير الإشاري الشخصي يُعدّ ضروريًّا لنجاح هذا النص الأدبي تعليميًّا فهو من المفاتيح التي تساهم في الولوج إلى مكنونات النص وفهم المقاصد التي يتضمّنها.

كما يُعدّ ضمير الغائب أكثر العناصر الإشارية الشخصية سيطرةً وبروزًا في القصيدة، فقد ورد ستّة وعشرين مرّةً، وفي كلّ سياقاته يعود على الرّسول "صلّى الله عليه وسلّم"، وفي كلّ سياقاته يعود على الرسول"صلّى الله عليه وسلم"باستثناء خمسة مواضع. ومن الأبيات التي يتجلّى فيها ضمير الغائب العائد على الرسول في الأبيات الآتية (سعيدي و آخرون، 2008، صفحة 9):

سيّدٌ ضحكه التبسّم، والمشـ ** ـيُ الهوينا، ونومه الإغفاء
ما سوى خلقه النسيمُ، ولاغيـ ** ـر مُحيّاه الرّوضةُ الغنّاء
رحمةٌ كلّه، وحـزمٌ وعـزم ** ووقارٌ وعصـمةٌ وحـياء
لا تحلُّ البأساء منه عُرى الصبـ ** ـر، ولا تستخفّه السرّاء
كرمت نفسه فما يخطر السو ** ءُ على قلبه ولا الفحشاء
عظمت نعمة الإله عليه ** فاستقلّت لذكره العظماء
جهلت قومه عليه، فأغضى ** وأخو الحلم دأبه الإغضاء
وسع العالمين علمًا وحلمًا ** فهْو بحرٌ لم تعيه الأعباء

إنّ الشاعر ومن وراء التعبير بضمير الغائب المفرد الذي يعود مرجعه إلى الرسول، يريد أن يعرض لنا صفاته الخُلقية والخِلقية، لقد عبّر الشاعر عن كلّ هذه الصفات النبوية الجليلة في واحد وعشرين موضعًا، وقد كان الضمير الإشاريّ الشخصي الغائب الجسرَ الذي أطّر هذا الوصف المشحون بتفاعل وتأثّر الشاعر بالممدوح محمّد "صلّى الله عليه وسلّم".

إنّ ضمير الغائب المفرد الذي استخدمه الشاعر وركّز عليه في تلك الأبيات، والذي يعود على الرسول "صلّى الله عليه وسلّم"،قد شحنه الشاعر بمدلولات متنوعة تصب في تشكيل الصورة الراقية للنبيّ،من حيثُ صفاته الخلقية والخلقية التي تميّز بها؛ كالتأدّب في الضحك، والتواضع في المشي، والرحمة، والوقار، والحياء، والحلم والتعفّف، وصفاء القلب، والعفو، والتسامح، والعلم، ونور الوجه، والكرم....

كما نجد الشاعر استخدم ضمير الغائب الجمع الذي قصد به الأنبياء والرسل، وقد ورد هذا الضمير مرّتيْن في القصيدة، في قوله (سعيدي و آخرون، 2008، صفحة 9):

لم يساووك في عُلاك وقد حا ** ل سنًا منك دونهم وسناءُ

حيث نلاحظ أنّ الشاعر استعمل ضمير الغائب الجمع عندما كان في مقام المقارنة والتفضيل، أي مقارنة الرسول بباقي الرسل وتفضيل الرسول عليهم جميعا، فمنزلة الرسول الرفيعة تفوق مكانة باقي الأنبياء والرسل.فقد بُعث الرسول إلى كافة الناس بشيرًا ونذيرًا.

وورد ضمير الغائب المؤنّث مرّةً واحدة في القصيدة في قوله (سعيدي و آخرون، 2008، صفحة 9):

كيف ترقى رُقيّك الأنبياء ** يا سماءً ماطاولتها سماءُ

فالضمير الغائب المؤنّث في قوله(طاولتها)يعود على السّماء، ولهذا الضمير قيمة متميّزة، فهو من الناحية التركيبية السطحية يبدو أنّه يتعلق بكلمة (سماء)ويرجع إليها، ولكن في حقيقته وبُعده التواصلي يوضّح مكانة الرسول "صلّى الله عليه وسلّم" بأنّها عالية مثل علوّ السماء، وهذا القصد نستشفّه من التحليل التداولي للاستعارة التصريحية (ياسماءً)، فهي تحمل في طيّاتها مُشبّهًا محذوفًا، وهو محمد وهو المخاطب الذي يُعدّ بؤرة اهتمام الشاعر في قصيدته، وبالتالي تشبيه المخاطب بالسماء هو إعلاء لمكانته وتعظيم لشأنه، وبما أنّ ضمير الهاء في(طاولتها)تعود على السماء، فهذا أسلوبٌ رائعٌ من الشاعر في إعمال الضمير لتحقيق مقاصد لا يصل إليها المتلقّي إلّا بعد تركيز وتفكير.

يُعدّ الضمير الإشاري (ضمير الغائب المفرد) الذي ورد بقوّة في القصيدة، والذي ركّز عليه الشاعر وهو ضمير يعود مرجعه إلى الرّسول "صلّى الله عليه وسلّم"، وكان تركيز الشاعر عليه في سياق عرضه لصفات الرّسول الخُلقيّة والخلقيّة، وفي إطار تعليمية هذا النّص يُؤدّي الوُقوف على مدلولات هذا الضمير الإشاري لفهم أكثر لمضمون النص من طرف المتعلّمين كما يزيدهم تفاعلًا وتأثّرًا وحبًّا للرّسول من خلال تلقّيهم لصفات الرّسول الشريفة بالتّالي الاقتداء بصفاته الكريمة، فالرّسول عظيمٌ ويستحقّ كلّ هذا المدح لكونه يتّصف بصفات نبيلة وراقية جعلته يتفوّق على الكلّ بلا منازع.

2.3 الإشاريات الشخصية في قصيدة " في الزهد لابن نباتة":

تُعدّ قصيدة "في الزهد لابن نباتة المصري" من القصائد الدينية المقرّرة في منهاج السنة الثالثة ثانوي شعبة آداب وفلسفة، وهي تمثّل النص الأدبي الثاني من المحور الأوّل، وتتبنّى هذه القصيدة تيّار الزهد وهذا ماجعلها تتلوّن بالطابع الديني.

إنّ اتجاه الزهد الشعري قد نما وارتقى في عصر الضعف(عصر الشاعر ابن نباتة) لوجود أسباب وظروف مختلفة ساهمت في إحيائه وخاصة الظروف الاجتماعية، يقول حنا الفاخوري:"كانت الأحوال الاجتماعية تنطوي على ضنك وقلق.فإنّ غزوات المغول لمْ تُبقِ ولمْ تذرْ، وظلم المماليك والأتراك ثقّل كاهل الشعب بالضرائب، وكبتهم بالاستبداد، فتجاذب الناس في هذا العهد القاسي نزعتان هما رفيقا أيام الشدة والعسر: نزعة إباحية، ونزعة زهدية"(الفاخوري، 1986).

لقد استعمل الشاعر ابن نباتة ضمير المتكلم وركّز عليه بقوة، وتوظيفه لهذا الضمير كان بأشكال مختلفة عن طريق الضمير المتّصل(تُ) والضمير المستتر الدالّين على الوجودية، وبضمير الملكية(ي)، وكل السياقات التي استحضر فيها الشاعر ضمير المتكلم تعود إلى مرجع واحد وهو الشاعر. ومن السياقات التي وظّف فيها الشاعر ضمير المتكلّم متّصلًا دالًّا على الوجود(الذات)قوله (سعيدي و آخرون، 2008، صفحة 14):

عفتُ الإقامة في الدنيا لو انشرحت *** حالي، فكيف؟ وماحظي سوى النكد!

وقد صدئتُ، ولي تحت التراب جلًا *** إنّ التراب لجلّاءٌ لكلّ صدي

وما عجبْتُ لدهرٍ ذبْتُ منه أسًى *** لكنْ عجبْتُ لضدٍّ ذاب من حسد

وعشتُ بين بني الأيام منفردًا *** ورُبّ منفعةٍ في عيش مُنفرد

فالشاعر ومن خلال تعبيره بضمير المتكلم المتصل الدال على ذاته أراد أنْ ينقل إلينا معاناته وسخطه على حالته المزرية في أحضان مجتمع قاس ، فهو وإنْ كان فقيرا وحظه النكد في الدنيا ورغم ذلك لم ينجُ من كيد الحاسدين له!معاناة مزجها الشاعر بميله للزهد والدعوة إليه.

إنّ الشاعر ومن خلال بوحه بضمير المتكلم المرتبط بالوجودية يستحضر همومه وما تكابده ذاتهُ من سوء الحظ والبؤس والفقر، وهذه ميزة نستشفها في أساليب شعراء عصر الضعف.

لقد مزج الشاعر شكواه من بؤس حاله ومعاناته المادية بالزهد والتوجّه إلى الله والحكمة، كما نحس نزعته الصوفية، فهو دائم الاستغفار إلى الله غير مكترث لفقدان ولد أو ضياع مال.

ومن المواضع التي استخدم فيها الشاعر ضمير المتكلم متّصلًا دالًّا على الملكية قوله (سعيدي و آخرون، 2008، صفحة 14):

أستغفر الله!الا مالي ولا ولـــدي *** آسى عليه إذا ضمّ الثّرى جسدي
عفْتُ الإقامة في الدنيا لو انشرحتْ *** حالي، فكيف؟وما حظي سوى النكد!
لاعارَ في أدبي أنْ لمْ ينلْ رُتبًا *** وإنّما العارُ في دهري وفي بلدي
هذا كلامي وذا حظي، فيا عجبا *** مني لثروة لفظٍ وافتقار يد!
تدور هامته غيظًا عليّ، ولا *** والله، مادار في فكري ولا خلدي
أمّا الهموم فبحرٌ خُضتُ زاخره *** أما ترى فوق رأسي فائض الزبد

إنّ ضمير المتكلّم الدّال على الملكية والذي يحيل في كل مواضعه إلى الشاعر قد عبّر به عن أحواله المتناقضة والتي طبعت حياته العامة؛ فهو فقير اليد يعاني العوز والبؤس والتهميش في مجتمعه، إلّا أنّه في المقابل يملك ثروة اللغة وسعة المعرفة، وكأنّه يريد أنْ يقول أنّ شاعريته لم تعطه المكانة التي يستحقها، وهذا ما جعل القصيدة تتلوّن بمسحة الأسى والكآبة. فالشاعر غير راضٍ على حاله وموقعه في مجتمع لم يعدْ يحتف بالشعراء والأدباء والعلماء. لقد أكثر الشاعر من هذه الشكوى في أشعاره حتى غدت عنده لونًا شعريا طاغيًا، فهو يرى أنّ حياته قد أنهكها الفقر والبؤس والتوسل وظلم الزمان وقد أطلق الشاعر على معاناته وحالته المزرية تسمية"سيرة البطّال"، ويقول في هذا الشأن(ابن نباتة ، 1981، صفحة 14):

ياسا يلي بدمشق عن أحوالي *** قفْ واستمعْ عن سيرة البطّال
ودعْ استماع تغزلي وتعشّقي *** ماذا زمان العشق والأغزال
طولَ النهار لباب ذا من باب ذا *** أسعى لعمر أبيك سعي ظلال

إنّ حضور الأنا وسيطرته في القصيدة وتعدّد مواضعه فيها لم يخرج عن دائرة المرجعية الواحدة وهي ذات الشاعر، وهذا يبيّن بوضوح تركيز الشاعر على حاله التي تأسفّ عليها ومحاولته نقل وتصوير هذه الحالة إلى المتلقي فيتأثّر ويتفاعل معه.

إنّ إحالة الشاعر إلى نفسه من خلال استعماله ضمير المتكلم كانت إحالة خارجية مقامية تُفهم من سياقا المقام ، ونجد الشاعر قد أورد ضمير المتكلم في خمسة وعشرين موضعًا في القصيدة، وهي تحمل في طيّاتها صرخات الشكوى من الفقر والتهميش وقهر الزمان، هذه الأنا التي رسمها الشاعر لنا بأنّها مقهورة مصدومة غريبة تتموقع في مجتمع لا يقدس الأدباء ولا يعرف قيمة الشعر وفضل أهله، ذات الشاعر الي أحسّت بالصدأ مثل المعادن، وكأنّ الشاعر من خلال تركيزه على ضمير المتكلم الذي تجلّى في صور متعدّدة في القصيدة، أراد أنْ يسجّل حضوره الممزوج بطلب نجدة واستغاثة لكي يحسّ به المتلقي

ويتأثر لحاله ، ومن هنا، يمكن القول أنّ ضمير المتكلم كمؤشر شخصي تداولي قد أدّى وظيفة تداولية تتمثّل في التأثير في المتلقي وإثارة مشاعره.

إنّه من الضّروري وقوف الأستاذ على هذا الضمير الإشاري(ضمير المتكلّم) في تقديمه لهذا النص الأدبي والوقوف على مرجعه الذي يعود دائمًا على ذات الشاعر المضطربة المتألّمة والتّوقّف عند مختلف مدلولاته السّياقيّة، كلّ هذا يساهم في التّلقّي الجيّد للنص الأدبي من قبل المتعلّمين؛ فهذا الضمير الإشاري الذي اندفع وراءه الشاعر أراد من خلاله نقل رسائل ضمنية إلى المتلقّي (المتعلّم)، هي محاولة الشاعر أنْ ينقل إلينا حجم معاناته، ومدى سخطه على حالته البائسة في وسط مجتمع يسوده الجهل والحسد والقسوة، كما نجد هذا الضمير الإشاري يعبّر لنا ضمنيًّا عن ذلك التّمازج بين شكوى الشاعر من واقعه الاجتماعي والمادي الهزيل من جهة وإقراره بالزّهد من جهة أخرى، كما عبّر هذا المكوّن الضميري عن أحوال الشاعر المتباينة لدرجة التّناقض والتي تلوّنت بها حياته، فهو يعاني فقر اليد والتّهميش في مجتمعه إلّا أنّه في المُقابل غنيٌّ من حيث الثّروة اللغويّة والشّعريّة.

ويمكن القول بأنّ هذا النّص الأدبي سيكون أكثر نجاحًا من النّاحية البيداغوجية التّعليمية إذا استطاع الأستاذ تقريب هذه المدلولات والمقاصد التي يتضمّنها هذا الضمير الإشاري المركزيّ(ضمير المتكلّم)إلى أذهان المتعلّمين، إذْ يلخّص هذا المكوّن الإشاري الشّخصي شكوى الشّاعر من حالته الماديّة المزرية، وكذا معنى الزّهد الذي تبنّاه وسار في طريقه ودعا غيره إليه، وهذان المقصدان يمثّلان أساس تشكيل مضمون النص وبالتّالي يساهم تحصيلهما من طرف المتعلّمين في فهم النص واستيعابه جيّدًا.

نلاحظ أنّ الشاعر قد اعتمد ضمائر الحضور كلها في القصيدة ؛ فهو لم يكتف باستخدام ضمير المتكلم بل استعمل أيضًا ضمير المخاطَب، وقد تنوّعت دلالات استعماله في القصيدة بحسب السياقات الي ورد فيها، وبالتالي فهو لا يحيل إلى مرجع واحد وهذا مايوضح حركيته في القصيدة تماشيًا مع المدلولات الي يريدها الشاعر، ممّا أضفى على القصيدة طابعًا خاصًا.

تركّز استعمال الشاعر لضمير المخاطَب وتواتر في ستة مواضع في قوله (سعيدي و آخرون، 2008، صفحة 14):

أمّا الهمومُ فبحرٌ خُضتُ زاخره *** أما **ترى** فوق رأسي فائضَ الزبدِ

ياجامع المال إنّ العُمرَ منصرمٌ *** **فابخلْ** بمالِكَ مهما شئتَ، أو **فَجُدِ**

وياعزيزًا يخيطُ العُجبَ ناظرُهُ *** **اذكرْ** هوانك تحت التُربِ واتّئدِ

إنّ العائد عليه لضمير المخاطَب في هذه المواضع يختلف بحسب السياق الذي ورد فيه هذا الضمير فدلالة إشاريته ترتبط بسياق الاستعمال الذي وقف عنده الشاعر في قصيدته؛ فالمخاطَب الذي قصده الشاعر في قوله"**أما ترى**" هو المتلقي، حيث يريد الشاعر أنْ يخبره، ويبلّغه بأنّه شاعرٌ قد بلغَ من الهموم أوجها، وأنّه خاض الكثير من التجارب في الحياة، ولذلك فقد جرّب الدنيا، وامتحنها، واكتوى بصروفها، ونوائبها.أمّا في قوله"**فابخل، فجُدْ**"، فالمخاطَب هنا هو جامع المال، فالشاعر في هذا السياق يستصغر ويقلّل من شأن البخيل الحريص على جمع المال ،فهو أي: البخيل لايفكّر في الموت ولا يتصدّق بماله، ولا يحسن إلى الفقراء، فهو في نظر الشاعر الزاهد ابن نباتة ـ مغفّلٌ بعيدٌ عن الحق،أعمى البصيرة، ولذلك يدعوه الشاعر إلى الهداية والإحسان إلى الآخرين وترك البخل.

وفي قول الشاعر"**اذكر**،هوانك،**اتئد**" نجد أنّ الشاعر انتقل في السلم الخطابي من خطاب جامع المال إلى خطاب المتكبّر المغتر بنفسه، فهذا الأخير يراه الشاعر بعيدًا عن جادة الصواب كالبخيل، يعتدّ بنفسه، ويتطاول على غيره ، يذكّره الشاعر بالموت ليرتدع ويرجع إلى الطريق الصحيح.

إنّ خطاب الشاعر لكلّ من البخيل الغني، والمتكبّر يصطبغ بصبغة التحذير والتنبيه مع السخرية واستصغار الآخر.

إنّ ضمير المخاطَب الذي أورده الشّاعر في قصيدته قد حمل معاني سياقية متنوّعة بحسب مقاصد الشاعر التي أرادها، كما نجد أنّ المراجع التي يعود إليها متنوّعة ومتعدّدة بحسب السياقات المقامية؛ فتارةً يُخاطب المتلقّي، وأخرى يخاطب فيها جامعَ المال البخيل، كما نجده في سياقات أخرى يخاطب المتكبّر المغترّ بنفسه، و كلّ هذه المدلولات التي أثارها هذا الضمير الإشاري(ضمير المخاطَب)يساهم الوقوفُ عليه من طرف الأستاذ-المرسِل في تحقيق أهم أهداف تعليميّة هذا النّص والذي يتمثّل في إبراز نزعة الشاعر للزهد ودعوته للإصلاح، وهذا هو موضوع القصيدة.

لقد استخدم الشاعر ضمير الغائب المفرد في سياقات مختلفة، وبصيغ مختلفة؛متّصلًا، ومستترًا مع الفعل، وتعدّد العائد عليه بحسب المقامات التي توقّف عندها ابن نباتة، وتتمثّل مواقع الضمير الغائب في القصيدة فيما يأتي (سعيدي و آخرون، 2008، صفحة 14):

أستغفر الله!لا مالي ولا ولـــدي *** آسى عليه إذا ضمّ الثّرى جسدي
لاعارَ في أدبي أنْ لمْ **ينلْ** رُتبًا *** وإنّما العارُ في دهري وفي بلدي
وما عجبْتُ لدهرٍ ذبْتُ منه أسًى*** لـكنْ عجبْتُ لـضدٍّ **ذاب** من حسد
تــدور هامته غيـظًا عليّ، ولا *** والله، **مادار** في فكري ولا خلدي
حياة كل امرئٍ سجنٌ لِمُهجتهِ *** فاعجبْ لطالبِ طولِ السجنِ والكمدِ
أمّا الهمومُ فبحرٌ خُضتُ زاخرهُ *** أما ترى فوق رأسي فائضَ الزبدِ
وياعزيزًا يخيطُ العُجبَ ناظرُهُ *** اذكرْ هوانكَ تحت التُربِ واتّئدِ
كم واثقٍ بالليالي مدّ راحتهُ *** إلى المُرامِ فناداهُ الحِمامُ:قدِ

استعمل الشاعر ضمير الغائب وطبع عليه صفة الحيوية والذاتية، فهو في القصيدة ذو مراجع مختلفة، يتّصف بالتنوّع الدلالي، وهذا التنوّع عاد بالضبط إلى دور السياقات التي اتصل بها في القصيدة .

ففي مقام حديث الشاعر عن زهده في الدنيا، وعدم اهتمامه بها وظّف ضمير الغائب الذي يحيل إلى الولد من خلال قوله" آسى عليه"، فهو لمْ تعدْ تهمّه الدنيا ولم يعدْ يخشى على فراق ولد أو خسارة مال.

وعندما كان في مقام الشكوى من حالة التهميش التي تعرّض لها كشاعر، أشار إلى أدبه, وأحال إليه ضمير الغائب المستتر، وذلك من خلال قوله"لمْ **ينلْ** رُتبًا".كما نجد الشاعر ساخطًا على الدهر الذي لمْ ينصفه، وحوّل حياته أسى، وحسرةً، ويقصد الشاعرُ بالدهرِ المجتمعَ، فأشار إليه بضمير الغائب المتّصل"ذبتُ منه".إنّ الشاعر ابن نباتة يُعبّر لنا في هذه القصيدة أنّ معاناته متعدّدة، فهو يتألّم من العصر، ومن أبنائه الذين لايعرفون قيمته كشاعر قدير، وما زاده تحسّرًا، وعذابًا هو حسد الناس له رغم أنّه انسان فقير يعاني نَكَدَ الحظِّ، وهذا يتجلّى في قول الشاعر"لضدٍّ **ذاب** من حسد" فقد تحدّث الشاعر عن حاسده الحاقد عليه وذلك باستعمال ضمير الغائب المستتر في الفعل"**ذاب**"، هذا الحاسد مشغولٌ بتتبّع الشاعر وتمنّي عثرته، فالشاعر وكأنّه يريد أنْ يوصل إلينا رسالة وهي أن لا حظّ له في هذه الدنيا اجتمعت عليه الدنيا بالفقر والنكد، والناس بالحسد والحقد، ويستمر الشاعر في حديثه عن من يحسده من الناس في قوله"تدور هامته"، وفي قوله أيضًا"**مادار** في فكري"، إنّ تسلّط الحاسدين على الشاعر رغم حالته المادية والاجتماعية البائسة هي تعميق للألم الذي يعايشه الشاعر بفعل انقلاب الموازين في المجتمع الظالم الذي يعيش فيه الشاعر والذي يحس فيه أنّه غريب كغربة أبي الطيب المتنبي الذي قال عن نفسه:

أنا في أمّةٍ تداركها اللـ *** ـهُ غريبٌ كصالحٍ في ثمودِ

كما نجد الشاعر قد أورد ضمير الغائب في سياق الحكمة في البيت الثامن وذلك من خلال قوله"حياة كل امرئ سجنٌ لِمُهجته"، فالدنيا يراها الشاعر سجنٌ للمرء لا يعرف فيها الراحة أبدًا، وكلّها شقاء، فالهاء كضمير متّصل في هذا السياق تعود على المرء، وهنا دعوة من الشاعر وترغيب منه للزهد في الحياة، فالزاهد يرى السعادة في التعبّد والإقبال على الله والابتعاد والإعراض عن الدنيا ومفاتنها.

كما جاء ضمير الغائب ليعبّر عن عمق معاناة الشاعر في الحياة وتجرّعه لمختلف ألوان الهموم والآلام، وقد صقلت هذه الهموم قلبه وروحه وجعلته كالبحر العظيم الواسع الذي يحمل كل شيء، وهذا ما نستنتجه من خلال قوله"أمّا الهمومُ فبحرٌ خُضتُ زاخره"، فالهاء في كلمة "زاخره" تعود على البحر، وهي إحالة قبلية. كما نجد الشاعر استخدم ضمير الغائب في نهاية القصيدة عندما كان في مقام حديثه عن المتكبّر الذي ينظر إلى الناس باحتقار، وذلك من خلال قوله"وباعزيزًا يخيطُ العُجبَ ناظرُهُ"، فالشاعر يراه بضمير الغائب، وكأنّه يريد أنّ يقول أنّه غائبٌ أو نكرة منبوذ بسبب احتقاره وتعاليه على الناس، فهو انسان غير سوي وغير اجتماعي، فضمير الهاء في كلمة "ناظرُهُ" يعود على المتكبّر المعجب بنفسه، وهي إحالة قبلية.

وبما أنّ ابن نباتة في قصيدته يدعو للزهد والاستقامة، ولذلك فهو يحذّر من اتّباع الدنيا والتعلّق بها وينبّه المتكبرين والمغترين بأنفسهم والذين فُتنوا بأنفسهم، ونسوا الموت وغفلوا عن الآخرة.

تحدّث الشاعر عن الانسان الغافل الذي جعل الدنيا أكبر همّه ومبلغ سعيه مُحذّرًا إياه من العاقبة الوخيمة للغفلة بسبب الطمع في الدنيا والتعلّق بها وعقد الآمال بها، وهذا ما يتجلّى من خلال قوله"كم واثقٍ بالليالي مدّ راحتهُ"، فالشاعر أحال إلى الغافل الواثق بالليالي بواسطة ضمير الغائب الهاء المتّصل بكلمة "راحة"، كما أشار إليه في نفس البيت من خلال قوله"فناداهُ الحِمامُ"، يقول الشاعر في هذا السياق أنّ الدنيا متقلّبة لا قرار لها والموت يترصّد الانسان في أي لحظة، فالإنسان الكيس الفطن هو الذي لا يغفل عن الموت ويستعد له بالعمل الصالح ، فالدنيا دار عمل والآخرة دار حساب.

4. خاتمة:

من خلال بحثنا توصّلنا إلى مجموعة من النتائج بمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- تُعدّ الإشاريات عناصر لغوية متعدّدة الأدوار، وقد أسهمت في تحقيق وظائف تركيبية ودلالية وتداولية في النصوص الأدبية. وبالتالي، فالإشاريات لا يقتصر دورها في ربط العبارات فقط، فهي تتجاوز حدود وظيفة الاتساق لتساهم في بناء النصوص وتفسير المقاصد والمضامين التي تحتويها.
- لعبت الإشاريات الشخصية دورًا كبيرًا في النصوص الأدبية الدينية حيث كشفت عن فاعليتها في تحقيق التّواصل والتّفاعل بين هذه النصوص والمتعلّمين.
- أثبتت الإشاريات الشخصية من خلال أبعادها التداولية(علاقتها بالسياق وقصد المتكلم)مدى تنوّع المدلولات والمضامين المُساعدة على فهم هذه النصوص الأدبية وتلقّيها والتّفاعل معها.
- كان للمنهج التّداولي أثر كبير في تفسير وكشف المقاصد والمعاني الظاهرة والضمنية التي تشتمل عليها هذه النصوص الدينية وذلك من خلال ربط الإشاريات الشخصية بمُحدّدات السّياق والظروف المحيطة بالنص.
- تُعدّ الإشاريات من الوحدات اللسانيّة المهمة التي لا تتحدّد مدلولاتها ومراجعها إلّا بالرّجوع إلى السياق الذي وردت فيه، ولذلك يؤدّي إجلاء معانيها ومراجعها التي تحيل إليها من ناحية تعليمية النص إلى توضيح وتقريب محتوى النص إلى أذهان المتعلّمين(تلاميذ السنة الثالثة ثانوي)فيحصل الإفهام والتواصل الجيّد.

- إنّ فهم النصوص الأدبية الدينية فهمًا جيّدًا يقتضي بالأساس استيعاب الإشاريات الشخصية من حيثُ آثارها وأبعادها ومقاصدها؛ إذْ لا يتحقّق التواصل الصحيح والتفاعل بين النص والمتعلّمين دون الوقوف على هذه المكوّنات الإشارية. وهذا ما يبيّن دور مبحث الإشاريات الكبير في تعليم النصوص الأدبية.
- أثبتت الإشاريات تداوليًّا أنّ للسياق والمقام ومختلف الظروف المحيطة بالنص تأثيرا كبيرًا في توجيه الدلالات والأفكار التي يحتوي عليها النص.
- أثبت المنهج التّداولي قدرتَه على تحليل النصوص الأدبية من خلال البحث في المقاصد والمضامين التي تحدّدها الآليات اللغوية وغير اللغوية وذلك من خلال دراسة البنى اللغوية في سياق الاستعمال.
- تُعدّ النصوص الأدبية ذات الطابع الديني أنموذجًا لدور الإشاريات التداولية وقدرتها في كشف المقاصد الخطابية وتحقيق التواصل.
- الإشاريات الشخصية البارزة في قصيدة البوصيري تمثّلت في ضمائر المُخاطب، وضمائر الغائب، وتركّز حضور المخاطب على شخص النبيّ" صلّى الله عليه وسلّم" لكونه يمثّل ممدوح الشاعر الحاضر الحيّ في نفسه وقلبه والذي لا يغيب.
- ساهمت ضمائر الغائب والتي تمثّل العناصر الإشارية الشخصية الأكثر سيطرةً وبروزًا في القصيدة، في عرض الصفات الشخصية الحسيّة والمعنويّة التي تميّز بها النبيّ" عليه الصلاة والسلام"، وقد كان وصف الشاعر للنبيّ وصفًا مشحونًا بعواطف الحبّ والاندهاش والتعظيم.
- نلاحظ تنوّعًا في الإشاريات الشخصية في قصيدة ابن نباتة؛ فقد وظّف ضمير المتكلّم، وضمير المخاطَب، وضمير الغائب، وقد ساهمت هذه الإشاريات بتلاحمها في إيصال صوت الزهد المشحون بالشكوى.

كان تركيز الشاعر ابن نباتة على ضمير المتكلم بهدف نقل إلينا معاناته وسخطه على حالته المزرية في أحضان مجتمع قاس.

5. قائمة المراجع:

1. ابن نباتة جمال الدين، (1981)، الديوان (المجلد 1)، بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
2. أجعيط نور الدين، (2016)، الوظائف التداولية للتخاطب السياسي وأبعاده الحجاجية، (المجلد 1)، إربد: عالم الكتب الحديث.
3. الزناد الأزهر، (1993)، نسيج النص، بحث في مايكون به الملفوظ نصًّا، (المجلد 1)، بيروت: المركز الثقافي العربي.
4. الشهري عبد الهادي بن ظافر، (2004)، استراتيجيات الخطاب:مقاربة لغوية تداولية، (المجلد 1)، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
5. الفاخوري حنا، (1986)، الجامع في تاريخ الأدب العربي"الأدب القديم"، (المجلد 1)، بيروت، لبنان: دار الجيل.
6. حمو الحاج ذهبية، (2012)، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، (المجلد 2)، تيزي وزو: دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.
7. ختام جواد، (2016)، التداولية: أصولها واتجاهاتها، (المجلد 1). عمان، الأردن: كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
8. دي بوجراند روبرت ، (1998)، النص والخطاب والإجراء، (المجلد 1)، (تر:تمام حسان) القاهرة: عالم الكتب.
9. رمضان النجار نادية، (2013)، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، (المجلد 1)، مصر: مؤسسة حورس الدولية.
10. سعيدي دراجي ، وآخرون، (2008)، اللغة العربية وآدابها للسنة الثالثة من التعليم الثانوي للشعبتيْن آداب وفلسفة/لغات أجنبية، (المجلد 1)، الجزائر: الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية.

11. عفيفي أحمد،(دت)، الإحالة في نحو النص، (المجلد دط)، مصر: كلية دار العلوم، جامعة القاهرة.
12. علوش كمال،(2018)، النص التعليمي، وهوية الطفل الجزائري، مقاربة الألفاظ وفق إجراءات نظرية التحليل الدلالي، مجلة الأثر.
13. نبها أكرم محمد ،(جويلية, 2020)، آليات التداولية في مقاربة نصوص من التراث: خطبة الجهاد أنموذجًا، كلية الآداب والعلوم الانسانية.
14. نحلة محمود أحمد، (2002)، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، (المجلد دط). مصر: دار المعرفة الجامعية.
15. نور الوحدة، (دت)، التداولية:علاقتها بالعلوم الأخرى وتطبيقاتها بغيرها من المجلات، مجلة التعريب.
16. يول جورج، (2010)، التداولية، (المجلد 1)، (تر: العتابي قصي)، الرباط: دار الأمان.